المحاضرة السادسة:

التجديد الشعري في المغرب العربي

تمهيد.

1. التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشابي. 2. مضامين التجربة الشعرية الشابية.

3. التجربة الشعرية عند رمضان حمود.

المحاضرة السادسة:

التجديد الشعري في المغرب العربي

تمهيد: شهد المغرب العربي، بعد وفاة الأمير عبد القادر حالة ركود وسبات في الأدب العربي، غير أنّ التجديد الذي عرفه المشرق العربي من خلال اعتناق شعراءه للمذهب الرومانسي كما رأينا في المحاضرتين الرابعة والخامسة. كان له امتداد على أدب المغاربة، فاستطاعت القصيدة الرومانسية أن تتجاوز بتأثيراتها الفنية إلى الشعر في المغرب العربي، نظرا للقواسم المشتركة بين الشعوب سياسيا واجتماعيا فبرز شعراء أسهموا بتجاربهم الشعرية في تجديد القصيدة العربية في المغرب ونذكر منهم شاعرين بارزين أبو القاسم الشابي من تونس وحمود رمضان من الجزائر.

1. التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشابي(*): لا نذكر الأدب التونسي، إلّا ويظهر أبو القاسم الشابي أيقونة الشعر الحديث، فقد كان عضوا فعّالا في مدرسة أبولو، متجاوزا كلّ الحدود الموجودة على الخرائط، لأنّه آمن بأنّ الكلمة الصادقة، لا تؤمن بالمعوقات ولا تحمل جواز سفر يسمح لها بالانتقال من بلد إلى آخر.

لقد اعتنق الشاعر النزعة الرومانسية ليقينه أن: "الشعر هو وليد الخصام في النّفس والوجود، الخير المتداعي والسّعادة المتولية المترامي عليها ظلّ السواد، الألم والندم والحركة العجيبة التي تلد الحياة والموت في آن معا، لغز الحياة وأحداثها، الدّاء واليتم، هذه الخيوط السوداء التي يُنسج منها كفن الحياة وهي جميعا بواعث الشعر الخالد".[1]

لذلك فقد جاءت أشعاره كلّها انعكاسا لواقعه وواقع أمّته، فقد آلمته حالة البؤس التي يراها يوميا رأي العين، بسبب هذا الاستعمار الفرنسي الغاشم، فشحذ سيف الشعر لاستنهاض الهمم وبث الوعي الوطني، يقول في قصيدة يا ابن أمي[2]:

(*) أبو القاسم الشابي شاعر تونسي ولد سنة 1919 بتوزر جنوب تونس، شاعر وكاتب، عرف باعتناقه المذهب الرومانسي حينما انتمى إلى جماعة أبولو ، توفي في سن مبكرة عام 1934، ترك ديوانا شعريا بعنوان أغاني الحياة وكتاب أدبي الخيال الشعري عند العرب.

(1) إيليا الحاوي: أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والموت، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1972، ص13. (2) أبو القاسم الشابي: الديوان، دار الكتب العلمية، ط4، بيروت، لبنان، 2115، ص159.

خل ٍقت طليقا كـطيف النّسيم ** وحآر كنور الضحى في سماههتغرّد
كالــطيّر أين اندفعت ** وتـشدو بما شاء وحي الإل
وتمـــرح بين ورود الصّباح ** وتعـــ م بالنّور أنّي ت اره
وتمشي كما شئت بين المروج ** وتقطف ورد الربا في رباه

لقد استمّد الشاعر قرائن الحريّة المنشودة من الطبيعة، التي هي منبع لا ينضب معينه للشعر الإنساني، فالحرية هي قانون هذا الوجود تتنفّس في روح النّسيم ولمعان النّور وحرية الطيور في طيرانها ومرحها، إنّه يقرّر مبدأ الحرية، لكنّه لا يبدّله بأفكار صريحة مباشرة، بل يغمره بمشاهد طبيعية لذلك استعان بخاصية:

* **الإيحاء في اللّفظ:** جعل الشاعر اللّفظ عنده في الصورة موحيا بتعدّد معانيه والكلمة المشعّة ترسل خيوطها العميقة، في كل مكان، لأنّ كثرة المعاني في الكلمة الواحدة تكتب للقصيدة الخلود وتبقى حيّة متجدّدة، تجد موقعا حسنا من كلّ قارئ ليفسّرها حسب مرجعيته الفكرية، لأن اللّفظة عند الشابي: "نفسية حدسية سقط عنها إطار المعنى المحدّد وأحدقت بها الذكريات والإيحاءات من السورة التي تواكبها عبر التداول والممارسة وهي في معظمها ألفاظ شعرية"[1].

2. مضامين التجربة الشعرية الشابية: خاض الشابي في أغراض شتى، رقم قصر عمره، فإنّه استطاع أن يترك ميراثا شعريا، متدفقا بالحياة وفي عنفوانها لقد آمن بوجوب تحرير الشعر من قيوده التي ظلّ يرسف فيها عقودا من الزمن، لأنّه "من أولئك الذين يرتفعون بأرواحهم إلى أفاق فسيحة أرحب وأسمى من سماء البيئة المحدودة منعزلين بدنيا غريبة رائعة لم تخلقها الحياة إلّا في أعماق قلوبهم"[2]. ومن الأغراض التي أبدع فيها:

أ. الشعر الوطني: لقد عايش الشعر في المغرب العربي، واقعا استعماريا متأزما تطلب ردّة فعل معادية من قبل الشعراء، الذين اهتموا بالثورة، والشابي واحد من الثائرين على هذا المستعمر، إذ يقول في قصيدة إرادة الحياة[3]:

---

[1] إيليا الحاوي: أبو القاسم الشابي شاعر الحياة والموت، ص51. [2] نجيب البعيني: موسوعة شعراء العرب المعاصرين، ص99. [3] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص71.

إذا الشعب يوما أ ارد الحياة ** فلا بدّ أن يستجيب القدر

ولا بــدّ لليل أن ينجلي ** ولا بــدّ للقيد أن ينكسر

ولم يعانقه شــوق الحياة ** تــبخّر في جوّها واندثر فويل لمن

تشقه الحــياة ** من صفعة العدم المنتصر

لقد حرص الشابي في هذه المقطوعة على ضرورة التحرر من المستعمر بالنضّال والجهاد والكفاح والإرادة واستشراف غد أفضل من أجل العيش في كنف الحرية، إلى أن يقول[1]:

إذا مــا طمحت إلى غاية ** ركبت ال منى ونسيت الحذر

ولم أتجنب وعور الشعاب ** ولا كبّة اللّهب الــمستعر

ومن لا يحب صعود الجبال ** يعش لأبد الدّهر بين الحفر

إنّ الشابي ابن الطبيعة، منها يستلهم رؤيته للحياة القائمة على فلسفة الصراع المشدود بين الثنائيات الضدية، وهذا ما جعله يتأمل في مظاهرها ويصغي إلى أسرارها ويستطلع تحركاتها فيستخلص منها الحكمة التي هي ربّما غابت عن الكثير ممّن لا يمتلكون حدس

الحياة. ويلخص إيليا الحاوي قصيدة إرادة الحياة بالقول: "أن مضمونها ينطوي على موضوع واحد متطور منذ البداية حتّى النهاية، عبر هالة من المشاعر العميقة البصيرة وخلاصته أن أبناء الحرية لا يُعد موتها بل تقبل عليهم وتعتقهم وتعيد إليهم كرامتهم كما يعيد الربيع الحياة للبذور"[2].

لقد بذل الشابي قصارى جهده في استنهاض موات الأمم، بحزن ظلّ يعتصر قلبه وكأنّه هو الذي عجّل له بالرّحيل.

ب. الغزل: غنّى الشابي منذ أن أدرك كيانه الشعري للمرأة، وحتّى آخر لحظة في حياته، ولا غرو في ذلك فهو شاعر رومانسي يعيش بأحلامه وخيالاته ويخط بشعره في هذا الغرض ما يرتاح إليه، يقول في قصيدته صلوات في هيكل الحب[3]:

---

[1] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص71.

[2] إيليا الحاوي: في النقد والأدب، ج4، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979، ص22. [3] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص313.

عذبة أنت كالطفولة كالأحــلا ** م كاللّحن كالصباح الـجديد

كالسماء الضحوك كالليلة الق ٠م ** ارء كالورد كابتســام الوليد

يا لها من وداعة وجـــمال ** وشباب مـــــنعّم أملود أنت تحيين

في فؤادي ما قــد ** مات من امسي السعيد البعيد

وتشيدين في خ ارئب روحــي ** ما تـلاشى في عهد المجدود

أنت أنشودة الأناشـــيد غنّا ** ك إلـــه الغناء ربّ القصيد

فالمرأة التي يحبّها في هذه الأبيات هي من صنع الخيال والطهارة والصفاء، تعكس صورة امرأة شفافة رقيقة تجتمع فيها الصور المادية بالصور الروحية، لأنّ حساسية الشابي قوية، اتحدت مع الخلق الشعري لتعطينا أدبا متميّزا في ديوانه أغاني الحياة، ولهذا كانت سمة شعره الأساسية، الوجدانية والعاطفة القوية، إذ يشكل الحبّ عنصرا هاما داخل شعره، كيف لا وهو الذي فقد حبيبته وقد شكل الحبّ له أحزانا متواصلة، وهذا ما جعل الخيال الشعري عند الشابي يبقى في ذاته خيالا رومانسيا يتّصل بالطبيعة اتصالا حميميا تتشابك فيه حدود الحب والجمال والطبيعة ليسمو بالحبّ إلى مدارج العارفين، فيقول[1]: (نشرت في 13 أكتوبر 1931)

وح ارم عليك أن تهدمي مــا ** وح ارم شاده الحسن في الفؤاد العميد نفـــس

عليك أن تستحقي أمالا ** منك ترجو تصبو لعيش رغيد في حياة

سعادة لم تجـدها ** فالإله العظيم لا الورى وسحر الوجود إذا

يرجم العبـد ** كــان في جلال السجود

ج. الأسى والموت والطبيعة: إذا قرأت أشعار الشابي كلّها، وجدتها تقطر حزنا وأسى وهذا ما دفعه إلى تصوير تشاؤمه والإكثار من الصور القائمة، ويكفي دليلا عناوين القصائد (من وراء الظلام، مأتم الحب، الكآبة المجهولة، السآمة، الدموع، الأشواق التائهة، أغنية الأحزان، المساء الحزين...).

لقد تمنى الموت عندما وصل إلى طريق مسدود، فرسالة الشابي المثلى والسامية، لم تجد لها صدى في أرض الواقع، لأنّ الشعب ينام في سبات عميق، يطبق عليه الجهل من كل جانب مضاف إليه المرض واليأس، يقول في قصيدته إلى الموت[2]:

---

[1] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص314.
[2] المصدر نفسه: ص196-197.

الموت! فالموت حام رويّ ** لمن أضمأتـه سموم الفلاة
ولسـت ب ار „و -إذا ما ظم°ئ ت- ** من الشبــع.. قبل المماة
فمــا الدّمع إلّا ش ارب الدّهور ** وما الحزن إلّا غذاء الحياة
إلى الموت! فالموت مهد وثير ** تنــام بأحضانه الكائنات
هو الموت طيف الخلود الجميل ** ونصف الحياة الذي لا ينوح

أما الطبيعة فقد أكثر من وصفها وتكاد تكون المسيطرة في أغلب شعره، لأنّها دائما ممزوجة بالغراض الأخرى، ولعلّ السبب الذي غذى هذا الحبّ هو مولده في الرّيف وتنقله بين الطبيعة، وكذا اتجاهه الرومانسي الذي يدفعه إلى التأمل في الطبيعة والابتعاد عن زيف الطبيعة، يقول في قصيدة من أغاني الحياة[1]:

أقبــل الصباح يغني للحياة النّاعسة والربى
تحلم في ظلّ الغصون المائسة والصبا
تــرقص أو ارق الزهور اليابسة وتهادى النور في
تلك الفجاج الدّامسة أقبل الصبح جمـيلا
يملأ الأفق البهاه فتمطى الزّهر والطــير
وأمواج المياه قد أفاق العالم الــحيّ وغنّى
للحياه فأفيقي يا خ ارفي وهلمّي يــا شياه

وتبلغ الغربة والإحساس باليأس قمّتها في شعر الشابي، حيث لا شيء حسب الشاعر يدعو للأمل في هذه الحياة، ولم يبق إلّا الاتجاه إلى الغاب بعد أن لاقى أنواع شتى من
الاضطهاد، فيظهر الشاعر في قصيدته "النبي المجهول" كنبي مخذول انتصرت عليه قوى الشرّ والظلم والطغيان والتخلّف، بقول فيها[2]:

الشعب! ليتني كنت حطّابا ** فأهوى على الجذوع بـفأسي
ليتني كنت كالسيول إذا سالت ** ليتني تهدّ القبور رمــسا برمس كلّ ما
كنــت كالرّياح فأطوي ** إنّــي ذاهب بخنـق الزهور بنحسي في صميم
إلى الغاب علّي ** الغابات أدفن بؤسي

[1] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص273. [2] المصدر السابق: ص242.

ثم أنساك ما استطعت فما أنت ** بـــأهل لخمرتي ولكأسي

لقد تراكمت الغربة في ذات الشاعر وأبرم في نفسه الشقاء لأنّه شاعر غريب مطرود منبوذ خطاه الوحيد أنّه يقدس الحقيقة "نبي السعادة والحقيقة ومجنون في النّاس لا سبيل له إلى إخماد جذوة نفسه ودفع الشّعب عن لا مبالاته صامد في موقفه ويقينه، لا يتنازل ولا يسام أو يحابي... الشاعر هو الشهيد الصامت"[1].

لقد كتب الشابي في هذه الأغراض الشعرية التي أوردناها وفي أغراض أخرى نكتفي بذكرها فقط وأنّها جاءت متداخلة من الأغراض المذكورة ومنها: الوصف خاصة وصف الطبيعة الممزوج بالحالة النفسية اللّامستقرة وكذلك الشعري الفلسفي الذي حوى أفكار وتأملات الشاعر في الحياة.

الاستنتاج: رغم قصر حياة الشابي فقد انبثقت موهبته في سنّ مبكرة آزرتها ثلاثة عوامل:

- عامل موضوعي يتصل بظروف تونس تحت وطأة الاستعمار الفرنسي.
- عامل ثقافي يرجع إلى ثقافته الواسعة وما اطلع عليه مع شعر قديم وحديث.
- عامل عاطفي يتمثل في فقدان حبيبته وأبيه واصابته بالمرض.

وقد وجدنا أن الشّكل عند الشابي يتحدّد بالمضمون، ولعلّ الاتجاه الوجداني عنده قد حدّد لنا اتجاهه الشكلي المنبثق عن النزعة الرومانسية، التي تظهر بشكل واضح في مظهرين بارزين هما:

أ. **الحلول في الطبيعة،** مل يجعل ذلت الشاعر موحدة مع الطبيعة وتصبح هذه الطبيعة تتحدث من خلال الأشخاص وباسم الشعب، إذ يقول[2]:

ودمدمت الريح بين الفجـاج ** وفوق الجبال وتحت الشجر إذا ما
طمحت إلى غايـــة ** ركبت المنى وخـلعت الحذر
لي الأرض لما سـألت ** أيا أم هل تـــكرهين البشر؟
أبارك في الناس أهل الطموح ** وألعن ومن يســتلذ ركوب الخطر ويقنع
من لا يماشي الزمـان ** هو الكون بالعيش عيش الحجر
حي يحبّ الحيـاة ** ويـــــحتقر الميت المندثر!

[1] إيليا الحاوي: أبو القاسم الشابي، شاعر الحياة والموت، ص82-83. [2] أبو القاسم الشابي: الديوان، ص72.

ب. الألفاظ الشعرية: إنّ المعجم الشعري عند الشابي يعكس بوضوح مظاهر التجديد في القصيدة العربية الحديثة، لأنّ أغلبه رومانسي ممتلئ بألفاظ طالما وظفها الرومانسيون في تجاربهم الإبداعية مثل: الفجر، المساء، النور الضياء، المعبد، الغاب، ابتسامات الوليد، الوداعة، الخيال، الصباح، الأمل، السماء الضحوك، الليلة القمراء...، وهي كلّها جديدة لم نجد لها أثرا في الشعر الكلاسيكي، يضاف إلى كلّ مظاهر التجديد التي رأيناها، ظاهرة التنويع في الروي من حيث الإيقاع العروضي، ما يضفي على القصيدة نغما موسيقيا رائعا.

وصفوة القول، لقد نحت الشابي اسمه في تاريخ الأدب العربي ورسم طريقه في سلّم المجد والرقي، فكان شاعرا مجدّدا باقتدار ورائدا من رواد حركة التجديد في الشعر العربي الحديث.

3. التجربة الشعرية عند رمضان حمود[*]**:** وهو اسم من أسماء الشعراء الجزائريين الذين ساهموا بدفع عربة الشعر الجزائري والعربي للسير قدما نحو الأمام وسبب ذلك يعود إلى ما عرفته هذه الفترة من ميلاد الصحافة العربية الوطنية وانبعاث الحركات العلمية الاصلاحية ولكونها أيضا ساهمت في تفجير التجارب السياسية الرائدة[1].

لذلك فقد أسهم الشعر في تمييز هذه الفترة وتفردها، لأنّنا إذا ربطنا الحداثة باليقظة ارتسمت في أفكارنا ملامح الحداثة الأولى التي تميّز بها الشعر الجزائري، إذ ظهرت عليه ملامح التجديد، المنصبة خاصة على الشكل، والدليل على ذلك تجربة رمضان حمّود في نصّه "يا قلبي" وهي تجربة شعرية متميّزة لمسنا فيها تعدّد الأوزان وتنوع القوافي والبحور الشعرية.

إن اطلّاع الشاعر على الأدب الفرنسي من أمثال: فيكتور هوجو ولامرتين وفولتير ولامونيي بسبب اتقانه للغة الفرنسية، ومن ثمة تأثر بالاتجاه الرومانسي من مصادره الأولى، يقول في إحدى قصائده[2]:

(*) رمضان حمود بن سليمان بن قاسم المزابي الجزائري، ولد سنة 1916 بغرداية، حفظ القرآن الكريم، تعلم الفرنسية في غليزان ثم رحل إلى تونس وأكمل تعليمه في المدرسة الخلدونية والجامع الأعظم ، كتب العديد من المقالات في مجال النقد الأدبي، له كتابان "بذور الحياة" و"الفتى"، توفي سنة 1929 بمسقط رأسه.

(1) ينظر، صالح خرفي: المدخل إلى الأدب الجزائري الحديث، ص11.

(2) محمد ناصر: رمضان حمود وحياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985، ص181.

لا تلمني في حبّها وهــواها ** هي عيني لست أختار ما حييت سواها إنّ
ومهجتي وضميري ** إن عمري روحــي وما إليه فداها كوكبا
ضحـــية لأ ارها ** فهنائي موكل ساطـعا يبرج علاها وشقائي
برضـــاها ** مسلـــم بشقاها

فظاهرة التجديد ظاهرة للقارئ في هذه المقطوعة الشعرية، من خلال توسل الشاعر بخاصية الرّمز، الذي قدّم القصيدة على وجهين: الأول تبدو فيه -أي القصيدة- غزلية بحتة يعبّر فيها عن مدى حبه وذوبانه في هذه المحبوبة التي صارت هي كلّ شيء في حياته فهي الروح والضمير والعين والهناء والرضا والشقاء. الثاني تتجاوز الظاهر السابق ذكره إلى الباطن أي تصير قصيدة سياسية وتصير المحبوبة هي الجزائر ببهائها وجمالها، ويبدو لي أن توظيف الرّمز مرّده الانفلات من الرقابة الاستعمارية.

لقد تمرد حمود رمضان على الشعرية العربية التقليدية وتبرأ منها عندما نظر إلى الشّعر بأنّه هو النطق بالحقيقة العلمية الصادرة من القلب، والتي تجعل من الشعرية التي كانت تستند إلى مقاييس شكلية خارجية جاعلة منها محدّدا رئيسيا لماهية الشعر ولازمة من لوازمه الضرورية، فأقرّ في مقالات نقدية كتبها بأنّه لا بدّ في الانطلاق من مقاييس ومعايير داخلية ليصبح بذلك الشعر بروحه وجوهره لا بشكله المظهري الخارجي، يقول في قصيدة "أيّها العرب والخطوب جسام"[1]:

لأيّها العرب والخطوب جسام ** أيّها دون هذا العناء موت زؤام
العرب والحوادث جاءت ** إن يكن ممطـــارت كأنّهن غمام فمتى
للحياة فيكم طموح ** نـــاولني يدا النطق والسكوت ح ارم إنّ قــلبي
بها أتسامى ** إنّ نفسي إلى بالعلا مستهام ولها في
المكارم تصبو ** سماء البيان هيام

تعكس هذه الأبيات صرخة شاعر من أجل استنهاض همم أمّته مركزا على نقاط القوّة الكامنة في دواخل هذا الشعب والتي ربّما لا يدركها إلى أن يقول[2]:

---

[1] محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ص12.
[2] المصدر نفسه: ص31.

بكيت ومثلي لا يحق له البكا ** بكيت على أمّة مـــخلوقة للنّوازل وانّي
عليها رحمة وصبـابة ** ذرفت عليها عـلى ذاك البكا غير نادمبتساهر طول
أدمعا من نواظر ** اللّيل ضوء الكواك

إنّ تكرار الفعل بكيت وارداف بالفعل ذرفت ولفظة أدمعا في ثلاثة أبيات، بعكس حرقة الشاعر الحزين واليأس من واقع شعبه، لأنّه يرى أنّ الشعر الحقيقي هو الذي يكون بروحه وجوهره لا بشكله المظهري الخارجي ويشترط في ذلك ثلاثة شروط:

1. الفكر الثاقب 2.
العقل الصائب 3. الذوق
السليم

وقد دعا إلى مفهوم جديد وتصور معاصر من خلال منظور وجداني رومانسي مساير في ذلك أساطين الأدباء الرومانسيين خاصة في فرنسا من خلال دعوته إلى بناء قصيدة جديدة على أنقاض قصيدة قديمة مركزّا على رسالة الشعر ودوره في الحياة طالما أنّ
المضامين التقليدية ستظل عاجزة وقاصرة عن أداء الرسالة المنوطة بها، وفي هذا السياق كتب مجموعة من المقالات ونشرها عام 1927 تحت عنوان "حقيقة الشعر وفوائده" ونقد فيها شعر أحمد شوقي نقدا جريئا ربّما لم يسبق إليه أحد أنذاك، كما ركّز في دراساته النقدية على ضرورة توفر عنصر الصدق الفنّي وقد جسّده في شعره فيقول في إحدى قصائده[1]:

تخرج الحشاء وتذيـب ** وبكاء يطير فـــي القلوب
في بلادي ترى الهوى جبالا ** كلّ فرد فرؤوس الصّغار منه تشيب لست
يشكو هموما ثـقالا ** لست أدري أدري متى الحياة تطيب؟ لست أدري
متى نكون رجالا ** يا إلهي منك متى الشقاء يغيب ربّي رحماك أنت أنت
الشقاء لشعبي ** الطبيب

الإستنتاج: لقد ساهم حمود رمضان إسهاما فعليا ومميزا في تجديد الشعر العربي الحديث من خلال الاهتمام بإعادة النّظر في الشكل والمضمون وكان له ما أراد ولكنّ الأجل عاجله وهو في ريعان الشباب، فترك بصمة مغاربية في تاريخ الشعر العربي الحديث ونقده. وان لم يكن حمود رمضان وحده فقد شاركه أيضا مجموعة من الشعراء الجزائريين الأحرار الذين ناضلوا

[1] محمد ناصر: رمضان حمود حياته وآثاره، ص187.

بشعرهم وأبدعوا شعرا أطلق عليه الدّارسون تسمية "شعر النضال" ومنه بقول محمد سعيد الزهراوي(*) في إحدى قصائده[1]:

فيا ريح أح ارر الج ازئر فكم وكم ** لقد يهيج عليهم من هيوم وبلبـال ونحن
كسر الناس القيود وحطّموا ** بقينا بأغلال بقينا في قيود وأغـلال ليكسرها إلّا
من الفقر لم تكن ** وقد لبس النّاس تكســـــب أموال ونحن لبسناها
العلوم الجديدة ** وقد لبس الناس الفخار من الخلق البالي ونـحن بقينا في جرود
مطارفا ** وأصبح هذا الناس أحياء وأسمال ونحـــن بقينا في زي
كلّهم ** فما أخذ منّا بجرّك ســـاكنا تمثال لدى نوب تغشـى البلاد
** واهوال**

ترسم هذه القصيدة حالة الجزائر حوالي سنة 1925 وهي تعيش تحت وطأة المستعمر فاقدة للشعور القومي وشعبها في فقر وجهل وعبودية، إنّه يرثي لحال هذا الشعب الجاهل ويدعوه بالمناسبة إلى ضرورة الخروج من هذه الحالة وذلك بمحاولة اللّحاق بالركب الحضاري والاهتمام بالعلم فهو صمام أمان، يقول الشاعر أبو اليقضان(*) قصيدة عنوانها "نكبة الجزائر المسلمة في صحافتها الحرّة" وكان قد عطّلها الاستعمار[2]:

يا بلبل الصدّاح صه واخرس فلا ** كـــن تـــستعرض لأعظم
يا هـ ازر من الغناء بمعزل ** وأسكن الأز ارء وأصمت فحتفك في
بربك يا حمام الروض عن ** يا دوم غناء ذاك الهديـر ففيه سرّ
نخبة الشـــعب العزيز تنبها ** الداء لمصيركم إذ حـلّ كلّ شقاء
واذا بقيتكم ارقديـــن فحسبكم ** نار المذلّة داخل الأحـشاء

(*) محمد الهادي السنوسي الزاهري ولد بقرية ليانة قربة بسكرة عام 1912 حفظ القرآن في مسقط رأسه ثم أرسله والده إلى قسنطينة حيث تعلّم على يد عبد الحميد بن باديس، اشتغل بالتعليم قبل الثورة وبعدها، أصيب بشلل نصفي إلى أن توفي سنة 1974.

(1) صالح خرفي: شعراء من الجزائر الحلقة الأولى، معهد البحوث والدراسات العربية، 1969، ص89. (نشرت هذه القصيدة في العدد 1 من جريدة الجزائر عام 1925).

(*) أبو اليقضان هو الشيخ بن عيسى حمدي أبو اليقضان، شاعر ومؤرخ ودارس اجتماعي ولد عام 1888 وتوفي عام 1973، عالم بالشريعة ورائد من رواد الحركة الاصلاحية في الجزائر، ترك إنتاجا ضخما.

(2) أبو اليقضان إبراهيم: الديوان، ج1، ط1، الجزائر، المطبعة العربية، ص154.

وهكذا يتبين من خلال هذه النظرة الموجزة أن هناك مؤثرات وطنية وأخرى جاءت من خارج الوطن قد ساهمت مساهمة كبيرة في النهضة الأدبية واجتاز بذلك الشعر الجزائري مراحل تطور فيها فتجاوز سمات المدرسة التقليدية وراح يعانق شآبيب القصيدة الحديثة.